

إعداد: فتحي عبد الرحمن

حازم كمال الدين

المشهد الأول

المقدمة: موسيقى مختلطة مع رياح جافة، الوقت غروب. المكان مقبرة خلف المقبرة فضاء، ثلاث ساحرات يرمزن إلى قوى الشر والعدوان يقمن مراسم تحضير الموتى. واحدة تؤدي الدعاء وهي تحمل مسبحة. أنها شبيهة بنسر عجوز، الثانية تحمل ماء وترشه في المقبرة حتى تصل إلى المقبر، وهي تشبه الغراب، الثالثة تشبه اليوم، وهي تحمل مبخرة.

الغراب: سيخيم ضوء الأصيل كالمحلم المكتئب..... وااه.

اليوم: واه

الغراب: واه

اليوم: واه

الغراب: كالحزن يزحف من غيب الذكري ومن خلف الدموع... هكذا

(يطفئون الشموع شمعة اثر الأخرى... يتصاعد الإحساس بالشر... صوت ريح يختلط بنبوءة طقسية... الساحرات ينصبن فزاعة على هيئة جندي... حتى يكاد المكان إن يكون مظلمًا يلتفتن إلى عمق المسرح أو إلى عدة أماكن بشكل مفاجئ).

الغراب: اظهري يا أسراب الطيور وغطي السماء.

اليوم: أيتها العقبان اظهري، فالمطلل البعيد يتأهب محققًا بالليل البهيم.

1

الغراب: أيتها اليوم تعالي... هاهو الليل يحدد من بابه الأعمى ومن شباكه الخرب البليد... أيتها النسور... أيتها الصقور

اليوم: اعصفي بالسماء يا ريح الجنوب، واجلبي آلهة الموت السوداء.

الغراب: اعصفي أيتها الطيور كالعواصف السوداء، واملئي الجو بالمنعيب.

اليوم: حظي كالعفاريت في بيت قديم.

الغراب: اعصفي اعصفي اعصفي

(تتصاعد لتتحول إلى تراتيل وإيماء... أصوات مثل يي... يي... يي...، بعيدة متصاعدة يتكيف من خلالها جو السحر. يتصاعد الجو عبر علاقة المساحرات بالقبور والفضاء والجسمور)

النسر: نادي إلى سرب الغربان.

اليوم: نادي إلى سرب الغربان.

النسر: من تلك النقطة في الأفق نادي عليه.

الغراب: (خلال الحوار تتحول النسر والبوم إلى غرابين) اومي إلى سرب من الغربان تلويه الرياح العاصفة.. اومي إليه... تعال يا سرب الغربان المتائه... تعال... يارب. بحق أوليائك الصالحين ساعدنا على جلب سرب الغربان المتائه في بحر النذر (تستمر التعويذة حتى نهايتها صمت)

الغراب: سيفيظ على المكان.

(صمت. ثم كان الساحرة خافت ولجأت إلى الجمهور)

اليوم: إلى أين تهربين...؟ تعالي... نادي على سرب من الأرواح المصفراء... ومن هناك من تلك النقطة في الأفق.

الغراب: اومي إلى سرب من الأرواح يحييها الظلام... يا أيتها الأرواح المصفراء الأبدية... بحق الضوء المنحدر، وبحق الظلام المنتصر...
وحق الساعة الثانية من هذه الليلة المظلمة... احضروا إلى هنا لتساعدوا روح المرحوم ابن المرحومة بالمكوث بين أيدينا ليلة واحدة.

(تستمر التعويذة حتى نهايتها... صمت)

النسر: أنادي الطيور المرعبات لتخفق الأرواح العلوية، أنادي الطيوف المرعبات بحق هذه الساعة وما عدها وما قبلها، أقول لتفرد ديدان القبور لتلتهم الفضاء، لتشرب الضوء الغريق، وكأنما أرف النشور، أنادي الطيوف المرعبات لتتجمع الساعة هنا حتى يستيقظ الموتى عطاشى يلهثون على الطريق.

(تتجمع الساحرات حول حفرة كالقبر، يستحضرن روح، حفار القبور يحضر من جوف القبر... انه كالمومياء)

3

اليوم: بعد قليل تشتعل في هذا الجسد روح.

الغراب: ستشتعل فيه بعد اختناقها الطيوف المرعبات؟

النسر: نعم، وسترتخي تلك الظلال السوداء ببطء، سيفر الظلام، ويترك ظلًا طويلًا يلقيه حفار القبور (تمارس السيطرة الذهنية على حفار القبور)... يا عبد الله تقدم... تقدم يا عبد الله (موسيقى مع ممارسة السيطرة الذهنية على حفار القبور وتلقيه) كن مقلة جوفاء... كن قاسي الكفين... كن جائعًا كالذئب.

الغراب: بضم كشق في جدار مستوحد بين الصخور المصم.

النسر: كن بمقلتين تحدقان بلا بريق... بلال دموع في الفضاء.

اليوم: بدم ابرد من جباه الخاملين.

(يقف حفار القبور وما زال في روحه جمود المومياة.. تتقدم الساحرات منه وكأنهن يتفحصن شيئًا في غاية الغرابية)

النسر: انظري إليه.

الغراب: كفاه جامدتان وكان حولهما هواء... عيناه فارغتان مثل بئر جاف.

اليوم: انظري إلى فمه.

الغراب: مثلما أردناه.. كشق في الجدار.

النسر: ومقلتها؟

الغراب: جميل... إنهما تحدقان بلا بريق في الفراغ.

(تند من حفار القبور حركة فتراجع المساحرات..... صمت).

4

المشهد الثاني

(تدب الحياة تدريجيا في أوصال حفار القبور.... انه يشعر بكل دفقت دم تمر في كل عضو من أعضائه... يتمشى ثم يجلس حزينا على سطح احد القبور)

حفار القبور: هو ذا المساء يدنو، وأشباح النجوم تكاد تبدو، بل تبدو... تلك هي والمطريق خال، لا نعش يلوح ولما عويل (صوت غراب من بعيد يصغي إليه) وعلام تنعق هذه الغربان والمكون باق يدور، يعج بالأحياء مرضى جاتعين، بيض الشعور كعظام الموتى ولكن خالدين لا يهلكون؟ (إلى صوت الغراب) علام تنعق؟ أن عزرائيل سيموت، وغدا أموت... وغدا أموت؟

النسر: انظري إليه.... سيهز يمناه في وجه السماء.

اليوم: هل يجرو؟

النسر: طبعا يجرو... انتبهى إليه جيدا (يناجونه ذهنيا) سيهز يمناه في وجه السماء.

اليوم: سيهز يمناه في وجه السماء.

الغراب: سيهز حفار القبور يمناه في وجه السماء.

(يتحول ترديدهن إلى صراخ كأنه قدر... بعض الشموع)

حفار القبور: يارب... إما تثور فتبيد نسل العار، تحرق الصواعق المهلكات أحفاد عاد باعة الدم والمخطايا والدموع؟

5

اليوم: (يطير فرحا) هيه هيه.. حقا لقد هز يمناه في وجه السماء. (تعيد محاكاة إيماءته بسخرية) يا رب... إما تثور فتبيد نسل العار، تحرق الصواعق المهلكات أحفاد عاد باعة الدم والمخطايا والدموع؟ سيهز يمناه مرة أخرى. (تناجيه ذهنيا مرة أخرى) سيهز حفار القبور يمناه في وجه السماء.... سيصرخ في وجه السماء (يستمر تردد الحوار بالاشتراك مع المنسر)

المنسر واليوم: أكثر... أكثر... أكثر أكثر.

حفار القبور: يارب مادام الفناء هو نهاية البشر فأمر يهلكون هذا المساء... سأموت من ظمأ وجوع إن لم يمت هذا المساء الى غدا بعض البشر.... فابعث به الظلام أبعثه قبل الظلام. (يتحول ترديده إلى صلاة، الساحرات يصلين معه وهن بوضعيات مختلفة يرددن)

الساحرات: ابعث به قل الظلام.... ابعث به ق بل الظلام.

(تستمر الصلاة بالتصاعد والمهبوط والتصاعد حتى يقطعها حفار القبور)

حفار القبور: يارب (ينهار باكيا) أسبوع طويل مر كالعالم..... والمقبر خاو يفتح فمه انتظار..... تتناعب الظلماء فيه ويرشح القاع البليل
(يبدأ تداعيا وهو يكتف صراخه) أين المشفاه؟ أين المآقي؟

6

(المساحرات يمسكن المعاول وينبشن الأرض... أحدهن تتمرغ في الأرض أو تقوم بأى فعل ينتهي في نهاية الحوار بان تصبح تحت قدمي
حفار القبور)

الغراب: المشفاه تذب من حنين.

النسر: آه على تلك المشفاه والمآقي... آه على أجساد العذارى

الغراب: اياكل الليل الدهيب منها ما تمناه الهوى

حفار القبور: يا للخبية... كم جثة بيضاء ما مستها شفتاه حبيب... أمسى يعانقها المتراب وأنا هنا أرنو إلى سراب ولما أنال سوى المعويل
إلف أنتى تحت إقدامي تنام (ضربات قدمه على الأرض تتحول إلى إيقاع عسكري) أين الحروب؟

البوم: (يصرخ فرحا) لقد وصل وصل إلى الحروب فهل لك أن تجلبي له الحروب؟

النسر: حسنا سأتاجي الحروب عساها تحضر ساعة اطلب ذلك. عساها تلبى فرحتي... أقسمت عليك يا أبو رياح يا حامل الكلاليب والرماح
يا متقلدا بالسيوف والسلاح في سائر البراري والبطاح تمجد القوة في المساء والمصباح وعند المجد والمجيب والرواح... اظهر لي برهاني
واحضر وشم بخوري ودخاني واجلب أعوانك إلى مكاني، يطيرون في الهواء، ويأتون ومعهم مطلوبى ثلاثون جيشا يملتون الأرض
والبحر والسماء أنوح أنوح بنوح بنوح ملخي ملخي... يا من تمجدك القوة والأرض لأمرتك تخضع كل العباد... ألوحا ألوحا العجل
العجل يا صانع المجد افعل كل أمر عظيم والله على أمرى كفيل (يضع النسر سلاحا بيد المفزاة الجندي) خذ الحروب تمسك بها

جيذا.

7

الغراب: خذ المقذائف... خذ المضحايا قي الدروب.

حفار القبور: (بوحشية) هاتي الحروب.. هاتي المجث لأظل ادفنها وادفنها وإذا لم تسع الصحارى سأس في المتلال عظامهم وفي الكهوف.(أصوات طائرات ومجنزرات تهدر بقسوة. المساحرات الثلاثة تركب ديكور كتلة السلاح). المساحرتان ترقصان وتغنيان إحدى الأغنيات القريبة من إيقاع الحرب أو التي تستخدم في الحروب الفلاحية).

حفار القبور: الله... الله، كأن انهيار المنازل في الحرائق نكرة دضوف وكأنه وقع أقدام العذارى يرقصن حولي لاعبات بالصنوج وبالسيوف.

(رقص وهريج إيمائي وصوتي من المساحرات له علاقة بألحان حربية ومنازل تتهدم يتصاعد ثم يختفي).

8

المشهد الثالث

المشخص: يا للشقاء عجلة الموت بدأت تدور.

حفار القبور: نبئت عن حرب تدور، وأن المدافع والمقذائف لن تترك مكانا بلا دمار.

المشخص: باسم العدالة يمطر الناس بالعذاب، باسم القانون تسفك دماء الأبرياء باسم العدالة يقتل الأخ أخاه، فأني سوق للقبور.

حفار القبور: سوق كبيرة هنا؟

المشخص: وسوق كبيرة هنا، ستكون فيها بعد غد تحت شاهدا يملأ فمك التراب.

حفار القبور: لنا لن أموت وسأدفن الموتى جميعا. أبواب الجحيم ستفتح عليهم من كل الجهات، وكل لحظة ستكون عاما من فرط العذاب.

المشخص: وبعده!

حفار القبور: ومن كل موكب جنازي سأنتزع البخاشيش المسخية، قربانا لأرواح الشباب من كل لون وملة. وسأشيد بأموالهم أعظم الأمانى.

المشخص: يا للبخاعة ستزهق أذاف الأرواح، وسيطحن الأبرياء وتعجن عظامهم بالدماء. ستموت في الحرب الملعينة، وتلعن روحك للأبد.

حفار القبور: لن أموت والى جانبي جيوشا يعزفون.. تشيد المنصر.

المشخص: ليس مهما من أنا.

حفار القبور: لا هذا مهم. تنيئي عن موتي وتحاول اخافتي.. من أنت؟ يقترب منه بتوجس.. يتأمله جيدا.. صمت.. يتراجع مذهولا) المهي
وكأنني أرى نفسي! ولكنك لا تشبهني.

9

يقترب حفار القبور منه ثانية. يتلمسه ثم ينهار باكيا) رباه هذا أنا.. أم أنت؟

المشخص: (يشير إليه) هذا أنا

حفار القبور: (يشير إلى نفسه) وهذا أنت؟

المشخص: وهذا أنت (تتكرر هذا أنا: هذا أنت إلى درجة الصراخ، وينتهي حفار القبور أمام ديكور كتلة السلاح).

10

المشهد الرابع

(المساحرات في أزياء عسكرية، يقمن باللباس حفار القبور زيا مشابهها) (حفار القبور في ملابس الجندي)

النسر: خذ الحروب تمسك بها جيدا خذ المسنابك والضحايا، خذ الجمجم..... خذ القنايل..... خذ الضحايا في الدروب كن معنا في حربنا..... (يمشي حفار القبور، وكأنه يمش على جثث الضحايا، النسر يغري حفار القبور، يناجيه ويناديه) لا تجزع ستقتل آلاف الجنود، وتبيد قبلهم آلاف الأبرياء، وستكون الأرض من ذهب... ذهب... ذهب....

حفار القبور: في خدمة الأسياد أنا... في خدمة من يملأ نفسي بالأمال وجيبي بالأموال (متعب) أه لو تأتي الحروب، جثثا جثث، أسد بلحمها جوع القبور وجوع نفسي، لبيك يا صانع الغد يا حامل المجد يا مالك الذهب

الشخص: وتكون البلاد ليس فيها إلما يتامى أو عذارى أو أرامل غاب عنهن الرجال؟

حفار القبور: طبعاً، مريحى باليتامى، مريحى بالأرامل والعذارى، مريحى بانتهيار المنازل والمدائن مريحى بنقر الدف ووقع أقدام العذارى.

الشخص: وستعتلي عرش المشوهين وتقتحم الحرب كالغزاة؟

النسر: وتشترئها بالذي ملكت يدك (تكرار بين الشخص والنسر حول)

النسر + الشخص: وتقتحم الحرب كالغزاة وتشترئها بالذي ملكت يدك

حفار القبور: أين الحروب (يحاور المنسر) ما زلت أسمع أسمع أسمع ولكن أين هي؟ ليت عيناى تلتقيان بالحرب. وكالنيازك والدرعود تهوي معها على النخيل، على الرجال على المهود حتى تحدد أين الموتى من كل شبر في مدنهم كآلاف اللآلى رباه.. اني أقشعر (غذاء رقيق) ما هذا الصوت المحنون وكأن ما بيني وبين إخوتي الآخريين حزن دافئ يلطنا بالمحبة والإخاء.

المشخص: حاذر من أن يملأ الطغاة قلبك بشهوة الذبح وسفك الدماء، فالأرض تصرخ لا تملأوا الدنيا بالأرامل والميتامى والمشوهين لا تملأوا بطني بالنعوش والقبور.

حفار القبور: يقترب منه الشخص بعلاقة ما) يا للخيبة ألن أعيش بغير موت الآخريين؟ الطيبات من الرغيف إلى المخمور إلى النساء هي منة للموتى علي، فكيف أشفق على الناس، لا، لا، لا... لتمطرهم بالمقذائف وبالحديد وبما تشاء حتى تشبع روجي... وسوف أرفض بالنقود وبالجماجم هذا المكان، وسوف أركض في الهجير بلا حذاء وأعد أحذية الميتين 1،2،3،100،1000، مليون وأخط في وحل الرصيف دماءهم، وسأستبيح أجساد العذارى، وسأدفن الطفل الرضيع وأطرح الأم الحزينة بين القبور.....، ولسوف أغرز في جسدها الغض على التراب أصابعي اللعينة (يتحول المشهد إلى اندماج حقيقي، لهات وأصوات) ويكاد يخنقها لهائي وهي تسمع قلبي وسوسة النقود.

المشخص: نقودها ؟؟ نقودها.. نقود الحرب.. نقود الحرب من دمك ودم الأحباب.

(يظل يرددتها وكأنها مدى الفجيرة، يتوقف حفار القبور عن الحركة فيوقف الطقس).

حفار القبور: ابتعد عن طريقي. في خدمة الأسياد أنا، في خدمة من يملأ نفسي بالأمال وجيبي بالأموال.. نعم نقود الحرب.. نقود الحرب (يردد حفار القبور كلمة نقود الحرب كالمهووس حتى نهاية المشهد)

المشخص: أماته تكاد حكمتي أن تضيع، في أي حزن سأدفن عيذاي من هول ما أرى والأرض تحتشد بكل السلاح، أماته أيتها الأرض المباركة لم تتقيئين من بطنك كل هذه الأفاعي والديدان الكريهة لم تنبت في رمالك هذه الوحوش الضارية في هيئة الرجال أم هي دورة الحياة تقايضين فيها ذهبك بدماءهم.

13

المشهد الخامس

تأنيب الضمير

(يهرب حفار القبور بعيدا عن الشخص وكأنه أحس بالمعار)

حفار القبور: واخجلتاه، أنا أحقر بني البشر (يبكي... صمت) (فجأة)..... لا لست أنا أحقرهم، أنا لست أحقر من سواي حتى وان قسوت فلي شفيع، اني كوحش في الفلاة لا أعرف إلا أن أطيع، ثم اني لم أقرأ الكتب المضخام.

المشخص: هذا لا يشفع لك، انظر إلى المتحضرين، أألا ترى أنهم متوحشون مسربلون بالحديد.

حفار القبور: لكن لن أصبح مثلهم، ومهما قسوت فلن أسف كما أسفوا، أنا.. أنا ذويت فقط، ولكن هم من يفعلون.

المشخص: هم يفعلون وأنت تخفي فعلتهم، وغدا ستصبح رأس حربتهم اليوم يستبيحون الدماء، وغدا تراث الخرائب والمعداء.

حفار القبور: لنا علاقة لي بكل هذا، فهم الجناة ولست أنا.

المشخص: هم الجناة يلونون لك الخطايا أجل، وهم المجاعة والحرائق، هم المذابح والنواح، وهم المذلة والمهوان أجل، وهم من سيستبيحون أرضك ومستقبلك ومالك حتى أنفاسك، فكيف تكون من القطيع؟ كيف؟

حفار القبور: هم الجناة.. هم الجناة.. هم الجناة ولست أنا.

المشخص: وهم الذين سيوثقون قبضتي بشعر أختي.....، ويمكنون فوق صدرك جيلا بعد جيل.

14

حفار القبور: (كمن تحرر من سطوة الساحرات) ماذا! سيوثقون قبضتي بشعر أختي؟

المشخص: تتمرغ على دمها كالمظالم وكخضه الحمى، صدور تعلق وتهبط باللهثات، وكأنما رحي تدور. (يشخص مشهد الأخت. حفار القبور يجأر)

حفار القبور: يا مجرمون إلى الدوراء فسوف تنتفض القبور وتقيء موتها ويا موتى.. يا موتى استفيقوا.. استفيقوا.. (حفار القبور والمشخص يمارسان بإيماءات وأصوات مبهمه ولهات طقس تحريض واستنهاض الموتى، الساحرات يمارسن الطقس بحركات مختلفة)

بعد ذروة محددة بصمت الجميع)

حفار القبور: رباه عفوك إن قابيل المكبل في نفسي المظلمة هب وثار يعصره الملال. فالليل جاء وما أزل مستوحدا.

اليوم:(لنسر) تعالى.. تعالى قبل أن نفقد الأمور.

الغراب:(لنسر) بسرعة.. بسرعة بالمال والأكفان. إن استفاق ثانية تضيع من يدنا الأمور.

يصعد النسر إلى قمة كتلة ديكور السلاح، تخرج اليوم والغراب لإحضار المجازة الأولى).

(النسر يمارس إحدى التعاويذ لإحضار الحرب)

النسر: أقسمت عليك يا ناصور بحق المنار والنور

لقد هاجت الجن في القبور وزعقت الشياطين بالحضور...

زلزلي أيتها الحرب بحق النيران وكفتي الميزان،

أقسمت عليك يا ناصور بحق سكان البخور أين الزوبعة واللويعة والعفاريات الأربعة مجال وميمال ومهقال وعابد المنار أين أنتم أيها المرردة،

أسرعوا في قضاء حاجتي وهي حرب ضروس وجمر ضروس أجيبوا قبل أن ينزل بكم السخط والغضب وأسلط عليكم المنار والمشرار

والمهيب....

أجيبوا أنتم وأعوانكم وجنودكم وصغاركم وكباركم...

لقد تمت العزيمة وبها هو القرار

(يطلق الرصاصة الأولى إيذاناً ببدء الحرب).

المشهد السادس

الجنائز وبداية الكارثة

(موكب الجنائز تقوده البوم والغراب من الأمام والخلف. وسط حشد المزارعات التي تحمل جثة الميت. المزارعات بأسمال واسعة وأقنعة غريبة تجسد الحزن في ذروتها. حجم الأقنعة ضخمة ومبالغ به. أصوات حزن مبهمه تختلط بنوح يشبه أنين حيوان خرافي جريح. مع دخول الجنائز يقفز حضار القبور مستبشراً).

حضار القبور: يا بشرى.. يا بشرى.. هو ذا الضجر وذلك هو الجنائز

(حفار القبور يؤدي مع المساحرات طقوس المدفن، تخرج الفزاعات بعد وضع الجنازة وتبقى اليوم - امرأة تلطم وتندب- تلتفت بعد قليل إلى حفار القبور الذي يقوم بحركات غريبة تشبه رقصة الحرب. تتسلسل اليوم هاربة وهي تلطم وتنوح).

16

المشهد السابع

(يتابع حفار القبور خروج البوم ثم يلتفت إلى صندوق كانت الفزاعات قد تركته، ينقض على الصندوق ببلاهة ونهم)

حفار القبور: أهلاً أيتها النقود، سيكون بمقدوري ألدان تحقيق الأمنيات سأحتضن النساء الفاتنات، واملاً بطني بالطيبات، وأبني قصراً كالأمراء. وأحتسي الخمر واكل من الطعام ما لذ وطاب.

(يكرر جملة ما لذ وطاب كمن يحلق في الأحلام).

تعنيم

المشهد الثامن

الحانة (الموقت بعد الظهر)

(الحانة أشبه بملهى للجيش تحتشد فيه النساء - دمي - المشقراوات والسمر اوات، وسط جو من الماضاه الملونة والأنغام العسكرية)

حفار القبور: (كمن يشعر كأنه في حلم) أين القبور ؟ أه... ليست هنا... يبدو أنها أصبحت هناك، ومع ذلك فانا لا أستطيع أن أراها من مكاني... أه إنني في الحانة... أخ... النساء... النساء... إذن هنا النساء الفاتنات والخمور ؟؟ الخمور أولاً لكي يصحو الرأس ثم النساء أين الخمر المبهي... أيها النادل ؟ يعتقد إنني لا املك نقوداً (صمت... يضحك مع نفسه) هوو إنها نادلة إنني املك نقوداً؟ تعالي وخذي النقود مقدماً.. تعالي (ينثر بعض النقود على الطاولة) خذي النقود واحضري الخمر لنشرب سوياً (صوت المحادي من بعيد... يصمت حفار القبور)

17

حفار القبور: (لنفسه) غريب... ينادي كان الموقت نهار (ينظر إلى الأضواء) غريب فعلاً في هذه الارض، ثمة شيء يتغير... هذه المصاييح ما بالها تذر الضوء كالضباب ؟؟ سأعود بعد قليل... أضع الجنازة في القبر (للنادلة) وأعود تكوني قد أحضرتي الخمر ومكملاتها. (يذهب حيث تحتشد المراهات وأمامها تابوتان) بسم الله الرحمن الرحيم... يا إخوان البقاء في حياتكم... سأضع الجنازتين هناك بانتظار

المصباح وان شاء الله ندفنها صباحا.

الغراب (والمفراعات ترتدي الزي العسكري): يا حفار القبور نريد أن ندفنها ألمان....

حفار القبور: ولكن هذا حرام.

اليوم: اسمع يا حفار القبور... ستدفنها ألمان وندفع لك أجرتك.

حفار القبور: ولكن هذا لا يجوز.. الدفن في الليل يعذب روح الميت.

الغراب: والدفن في النهار يعذب روح الميت.. والانتظار في الخلاء يعذب روح الميت وروح الأحياء.. لا تكثر من الكلام تدفنهما بسرعة ودون مراسيم.

حفار القبور: استغفر الله العظيم.. استغفر الله العظيم.. في هذه الحالة ادفعوا لي المبلغ مقدما.

اليوم: ادفنها أولا وسندفع لك.

حفار القبور: استغفر الله العظيم.. الدفن هكذا حرام.. هذه أرض مقدسة وطاهرة.. لا تجوز فيها مخالفة الشريعة.

الغراب: غبي نحن في حالة حرب.. هناك عشرات الجثث ولما وقت لدينا لتطبيق الشريعة.

حفار القبور: كما تريدون.. أنتم أدرى مني.. ولكن الدفع أولاً.

الغراب: أحمق! ننفق على حرب عظيمة من أجل حرية هذا الشعب، وأنت تطالب باجرة الدفن، هيا ادفنها وسجل على الحساب.

حفار القبور: على الحساب! أخشى أن لا أجد من أحاسبه. فمن الذي يضمن في الحرب.

اليوم: نفذ الأمر دون ثرثرة وإلما.....

حفار القبور: استغفر الله العظيم... أمنا الله... أمنا الله (يتهياً) أين الملقن؟ أم تريدوني إن ألقنها بنفسي أيضاً؟

اليوم: لا داعي للتلقين... الوقت متأخر ونحن مستعجلون.

حفار القبور: ولكن الدين ينص على....

الغراب: قلنا لك نحن في حالة حرب.

حفار القبور: عجيب.. في حياتي لم أرى أهلاً يعاملن ميتهم هكذا.

الغراب: ادفنها قلت لك كفى (يعود الصوت إنسانياً حزينا يضطر القلب) لا تمزق روحنا حزناً.

(حالما يبدأ حفار القبور بعمله يسقط صندوقاً على الأرض وتشتعل أضواء المحانة من جديد حيث نرى فتاة ترقص مع المفزاحة وتغازلها... يدخل حفار القبور ساهماً... الغراب من مكان ما يضع قناعه على وجهه وهو نسخة من وجه حفار القبور، يلقي الحوار وكأنه صدى روحه من مستوى عالي في المسرح... يلتفت إليه أثناء الحوار فيصطدم وجههما يضحك ضحكات ساخرة).

المشخص: أظننت انك سوف تفتحتم الحرب كالغزاة ؟ وتشتري بفتاتها قصر الأمنيات ؟

المنسر: (يغريه) خذ المشفاه.. تعال خذ المشفاه (يشرب حفار القبور حتى الشمالة)

حفار القبور: هانت المشفاه

المنسر: (يراوغه) خذ

حفار القبور: هاتي الأكتاف الغضة

المنسر: (وكأنه يهرب) خذ

حفار القبور: هاتي الذراع (يمسك المنسر ويبدأ بملامسته) سأعب من جسدك الفتان حتى المتأوه والأنين وصرخة الدم في العروق.
(ينفجر المنسر في الضحك حتى يكاد أن يصحو حفار القبور ويبتعد عنه قليلا)

المنسر: أما ترى أنني شقراء؟ (يتمشى قليلا) شقراء

حفار القبور: (يعاوده السكر) وهذا ما أريد؟ (يهجم على المنسر) أين الشفتان؟ (يبحث عنهما في ظهر المنسر في ساقيه وتحت الأرض) أين هما لأشد فوقهما شفتي حتى تغيبا فيهما، حتى تمصا من دمائي وتلفظاني فوق السرير (يبكي)

المنسر: (يعود لوداعته) هاتان هما المشفتان، تعال لأريك إياهما (يرفع نقطتين من الأرض ويضعهما فوق وجهه.. يتقدم حفار القبور وقبل أن يلمسهما ينفجر صوت الحادي لثوان قليلة ثم يتحول إلى همس)

حفار القبور: ماذا يحدث؟ جنازة في المساء أيضا؟ انتظرنني وسأعود حالما أدفنه.. إياك أن تخرجني مع رجل آخر.. ها ؟

20

(من مكان آخر تظهر خمس جنازات مرتبة فوق بعضها وفي ذات الوقت يرتدي فريق المدفن بدل الخوذ العسكرية كما مات الغاز نلاحظ أن المفزاعات قد نقص عددها إلى النصف.. البعض منها يرتدي زيا غريبا الغراب والمنسر يتهيان لمراسيم الدفن وتلقين الميت بسرعة شبه كاركتيرية.. حالما يصل حفار القبور يقدمون له رزمة من النقود ورزمة من الصناديق يمسك المسحاة وحالما يضرب الأرض نسمع صوتا يغني.. تشتعل الإضاءة في الحانة.. يدخل حفار القبور وهو يغني الغناء الذي سمعناه قبل قليل)

حفار القبور: أين تلك الجميلة التي طلبت منها أن تنتظرنني؟ أنا أحمل نقودا في جيبي لا ترابا فلماذا تعامليني هكذا؟ أيتها المتافهة

الغراب: (لباس راقصة شرقية) لا داعي للشجار والصراخ. لقد طلب جميلتك أحد الرجال (تشير إلى دمية رجل مسلح) (تهمس في أذنه) هؤلاء الرجال لهم أولوية... أتريدني بدلا عنها؟

حفار القبور: (يتفحصها) أنت...؟ لا.. لا.. لا

الغراب: لم لا؟.. ألسنت أجمل منها؟

حفار القبور: أنت (يضحك) أنت أيتها السمراء!

الغراب: غبي لا يرى أبعد من أنفه.. إن جميلتك ليست امرأة بل رجل

حفار القبور: (يتوقف عن الضحك) ماذا تقولين؟ (يعاود الضحك) رجلاً؟

الغراب: غبي لا يريد أن يرى أبعد من أنفه.. سأنادي جميلتك الرجل لتتأكد..

حفار القبور: لا داعي للتأكد في مزحة كهذه. تعالي... حالما انتهى من جميلتي الأولى التحق بك، هل يرضيك هذا؟

21

الغراب: (تنادي وهي تعاود الجلوس) مزيداً من الخمر لهذه الطاولة.

النسر: (يأتي النسر) تفضلي (صمت، حفار القبور يتفحص النسر.. صمت... يذهب النسر)

الغراب: ارايت ؟ إنها رجل.

حفار القبور: (مازال يتابع النسر) ولكنها ليست رجلاً... إنها امرأة وأي امرأة ؟؟ شقراء.

الغراب: أوف كما تحب، امرأة امرأة (تنادي النسر) تعالي واجلسي معه.

حفار القبور: (إلى الغراب الداهب) إلى أين ؟ (يشير لها الجلوس) اجلسي... إن لدي من الجوع ومن القوة والمنقود ما يسمح لي بفعل أي شيء. (يأتي النسر) اجلسي يا جميلتي اجلسي، سأفتح قلبي على صدرك المريان (يضحكون بعد فترة).

الغراب: أتريد أن تأتي معي هناك ؟

حفار القبور: بل معكما أنتما الماشنتين (يخرج الغراب والنسر ويرافقهما حفار القبور الموشك على السكر. فجاء يصغي ونسمع صوت الحادي همسا، يتمشى متعثرا من سكره... يتأفف بين تارة وأخرى من عملية الدفن... من مكان آخر نشاهد عربية قادمة تجرها الساحرة اليوم... وتمشي خلفها الساحرة الأخرى فقط... يقترب حفار القبور متعثرا ودون طقوس)

حفار القبور: كم جثة؟

اليوم: نعم؟

حفار القبور: كم جثة ؟ أليس واضحا سؤاليا؟ كم جثة، لأقدر حجم القبر.

اليوم: تدفن في كل مكان واحد ؟

حفار القبور: طبعا فورائي من الأشغال ما ينتظرنني، كم جثة ولما تطل.

22

اليوم: ح... ح... ح... حوالي 14

حفار القبور: 14 ؟ (يضحك سكران) يريدني أن احضر لهم حوالي أربعة عشر قبراً ؟؟ (يتناول المسحاة ويقفز على عربية الجثث وكأنه يريد أن يحضر قبراً في العربية) لقد مضى ذلك الزمن الذي تدفن فيه ميتاً واحداً في الحفرة الواحدة.

اليوم: حرام يا سيد (مع ضربة المسحاة نسمع صرخة وكأنها صرخة جثة تتحول إلى إيقاع تلقين الميت)

حفار القبور: نحن في حالة حرب، الله سيغفر للأحياء كما سيغفر للأموات.

(تطفأ الأضواء والإيقاعات مستمرة يعود حفار القبور إلى طاولته وقد تزايد سكره)

حفار القبور: (إلى الفتاة) دون كلام... دون كلام... لم اعد استطيع الكلام... أريدك ألدان في هذه اللحظة... لا يهم أين (تضحك الفتاة)
اخلعي عنك هذا القميص

الغراب: لاء... أمام هؤلاء؟

حفار القبور: حتى في الغرف المظلمة يرانا الله، فهل تخجلين من رؤية هؤلاء؟ هم يخوضون حربا ولا يخجلون من العالم فلما تخجلين!

الغراب: لاء اخجل... ولكن عيب.

حفار القبور: لاء عيب ولما هم يحزنون... اسمعوا أيها الأصدقاء (يشير إلى الطاولة) هذا هو سرير النوم، وسأطفئ الأضواء ألدان، لاء بنت الحلال تخاف كشف مفاتها أمام عيونكم الزرقاء... أغمضوا أعينكم بسرعة، وأنت أيها المناذلة أطفئي الأضواء، أريد جوا... أريد جوا (يرفع المرأة الغراب ويضعها على الطاولة لمساته وحركاته على إيقاع تلقين الميت... يعود صوت الحادي كلحن دون كلام، يركض إلى حيث حيث يستطيع مناداة الصوت)

حفار القبور: اذهب إلى المجحيم... ادفنهم أنت بنفسك، إما أنا فلن أغادر هذا المكان، لن أغادر (يعود راكضا... لهاته صوت إيقاع الحادي... إيماءات حفار القبور هي إيماءات دفن الميت... مع تصاعد اللهاث يخلع قميصه، ويقترّب منها كمن يريد ان يودع ميتا وداعا أخيرا... تتراجع المرأة الغراب وتمسك بإحدى الفزاعات)

الغراب: ابتعد... إنني أشم فيك رائحة القبور... ابتعد لا أريد أن أكون بين ذراعيك (ترمي في وجهه الفزاعة وتهرب مولولة إلى مكان ما في المقاعة حيث بقية الساحرات يتهيأن لدور المنظفات... يحتضن حفار القبور الفزاعة وكان به مسا من الجنون)

حفار القبور: ما زلت تحترقين من شوق واحترق انتظارا... صبي مفاتنك على التراب وعلى الكؤوس الفارغات بعثريها بين أغطية الموائد وبين ذراعي جائع ولهان. (يعري الفزاعة وهو محموم تظهر دموية عادية تحت الملابس لكنه مستمر في المداعبة)

حفار القبور: صبي علي جمالك الفتان (يفتح عينيه ويسقط عن الطاولة... ينظر إلى الطاولة) لا بل القبور... لا بل الجمال، القبور، المشفاه قبور في شفاه في قبور في قبور. (تدخل الساحرتان وبأيديهما مكنستان... تباشران في تنظيف المكان يكنسنه فيتدحرج بعيدا، يعتدل حفار القبور في جلسته ليكتشف أن ما بين يديه دموية)

24

الغراب: (بسخرية) اذهب لمقبرتك ما جئنا لأمثالك أيها المتعس (تسحب الدموية من بين يديه)

حفار القبور: سأعود إلى المقبرة حيث لا فاتنة أضمها إلى صدري لا تأوه ولما أنين، لا صرخة الدم في العروق، لا بهجة لا حنين

الغراب: هيا اذهب.

حفار القبور: نعم ساذهب لا مكان لي هنا.

الغراب: (يبدأ طقساً سحرياً) عد إلى المقبرة، فالنعوش تحلم بك، برفشك ومسحاتك عد إلى مهنتك الأثيرة.

النسر: (كمن يمارس التنويم المغناطيسي) كن كما كنت، فليس هنا مقامك، قد مات ظل الأرجوان في آخر الأفق البعيد

الغراب: إياك إياك أن تصوب مقلتيك خارج الصحراء (تلمس عينيه تريد إغلاقهما مثلما نفعل بالميت).

حفار القبور: ولكني أريد النساء.. وقصراً بديعاً كالذي وعدت به في السماء، أليس هذا ما وعدتم به؟

الغراب: النساء لا يضاعجن حفار القبور.. ولما حتى المساقطات منهن فمن جسدك تفوح رائحة...

حفار القبور: وأنت.. ألم توافقى قبل قليل على أن تنامي معي؟

الغراب: كنا نتسلى معك لحين انجاز العمل.. فما أنت إلما حفار القبور.. اذهب من هنا.. اذهب قبل أن أرميك بسياط الموت؟

حفار القبور: (يكاد يغرق فعلاً في عملية التنويم المغناطيسي) أتوسل إليك.. أتوسل إليك (يدخل الدعاء ليستعيد وعيه شيئاً فشيئاً).

(تدخل المساحرات من ثلاث جهات وتقف خلف حفار القبور)

النسر: (للغراب) تعالي تعالي تعالي. يا من تطئين البحار والصحارى بأقدام ثقيلة تعالي من أطراف الأرض. وانعقي طرباً للدماء. (اليوم) دعي نار المحقد دفيئة تحت الرماد. غدا يتأجج سعيرها أكثر من ذي قبل. أكثر من قسوة المحقد لديك.

المساحرات: نصرخ بالنداء من خلجان الدم حيث شبت الحرب الطاحنة. من بقاع شاع فيها أنين خافت، وسالت دماء لم ذق لها طعاما.

الغراب: (تشير إلى حفار القبور) أشعلي في قلب هذا المسكين، ظمأ لا يرتوي، للقتل وإحراق المدين.

اليوم: انزعي من قلبه الرحمة

النسر: ثم انظري كيف يقتل ذوو الأرحام بعضهم بعضا.

المساحرات: هذا أوان الموت وموسم الخطيئة، هذا أوان الموت وموسم الخطيئة. (تختفي المساحرات خلف ديكور آلة الحرب).

حفار القبور: بحق النار والظلام، أتوسل إليك، أتوسل إليك صباحاً أتوسل أتوسل ليل نهار، أنت الذي تطفأ النور، وتنير وجه السماء، أنت الذي تنصر المضعيف وتدمر القوي، أنت الذي ترى الجميع يرفعون رؤوسهم ويديرون عيونهم إليك، بيدك إعادة الميت إلى الحياة، ونزع الحياة من الحي، جليل عظيم أنت يا راهي البشر، ومن وحده يستطيع إن يفهم حكمتك ؟ من لم يرتكب خطيئة قط اغض لي خطاياي التي ارتكبتها، والخطايا التي سأرتكبها حل عني قيودي، حقق رغباتي وامنحني بركاتك،

(أثناء الدعاء يقوم حفار القبور بزرع شواهد على القبور في الأرض حتى تمتلئ)

النسر: (يطل من خلف الديقور) ليس الدمار ضربة عنيفة كما تحسبون بل هو شيء جيد رقيق... الدمار ظل الحب.

اليوم والغراب: (يطلان من خلف الديقور) الدمار ظل الحب... الدمار ظل الحب لنا تجزعوا فكلابنا تزلزل السماء، لنا تجزعوا فكلابنا تنذر بالدموع والدماء، لنا تجزعوا فجحيمنا سيفتح مزاريب السماء.

النسر: يا ملح يا مليح، يا جوهر يا فصيح، يا من في الماء تذوب وفي الماء تغرق وتصيح، ادعوك ان تتركب دواليب الريح وتبعث حفار القبور ليحترق بحبنا ويصيح.

اليوم وبطريقة كاريكاتورية يستلقي على الأرض، ويكتب كلمات مبهمة على ورقة، الغراب يحضر إناء ماء ويذيب الورق بداخله، ثم يرش حفار القبور الذي يرتعش، ثم يتحفز بحماس عندما يحضر النسر مجموعة من الصناديق وينثرها بين القبور)

حفار القبور: أه... ما هذا النعاس الذي يدب في، كأنتني مجبر على النوم والطاعة العمياء، قد أكون أصلا نائما وكل ما مر كان حلما مزعجا، وقد أكون مستيقظ ولما أقوى على جمع ما بهذه الصناديق من مجوهرات وأموال... لنا... لنا الأراجح إنني نائم (يأخذ النور وهو يقاوم النعاس بصعوبة)

(تختفي المساحرات، ويدخل الشخص، ويفتح الصناديق واحدا تلو الآخر)

الشخص: (يقرا عن ظهر صورة) وذكرت قريتنا، يهف بها ويسبح في مداها قمر تحير كالفراشة والنجوم... وكان جسمك زورق الحب المحمل بالطيوب (يلتقط دفترًا صغيرًا ويقرا) سمعتك يا وطني، وكنت دورة اسطوانة، هي دورة الأطفالك من عمري، تكور لي زمانه، هي وجه أمي في الظلام وصوتها ينزلقان مع الرؤى حتى أنام، وهي النخيل أخاف منه إذا ادلهم مع الغروب، (يلتقط قصاصة ورق من صندوق آخر) يا إخوتي المتناثرين من الجنوب والشمال، بين المعابر والسهول وبين عالية الجبال، أبناء شعبي في قراه ومدائنه الحبيبية، لنا تكفروا نعم الوطن، خير البلاد سكنتموها خضراء وماء، والشمس نور الله تغمرها بصيف أو شتاء، لنا تبتغوا عنها سواها، هي جنة فحذار من أفعى تدب عليها.

(أثناء قراءة الشخص يستيقظ حفار القبور ببطء. يفتح صندوقا بين يديه، يصعق حين يرى ملابس جندي ملطخة بالدماء، يقفز من مكانه)

27

حفار القبور: ما هذا؟ انها ليست نقود، أهذا هو الثمن.. لا.. لا قد يكون هذا هو الصندوق الوحيد الذي يحوي ملابس الجندي المدممة حتما تمتلئ باقي الصناديق بالمجوهرات والأموال. (فجأة يلمح الشخص يجلس فوق أحد الشواهد حزينا، يهجم عليه)، أيها اللص، دع عنك هذا أين النقود (يفتش جيوب الشخص ثم يدفعه خارج المقبرة) ابتعد عن المقبرة هيا ابتعد (ينثر ما بداخل الصناديق بفوضى وهستيريا) من دفن بقية الموتى، أين حقوق الدفن، اللصوص يعتدون علي يسرقوني في وضح النهار، الكلاب، أين النقود، أين البخاشيش المسخية (يعثر على صورة وسط الملابس المدممة يتأملها ويصمت فجأة).

28

يا ليت للموتى عيوننا من هباء فلا ترى شقائي، أو اه... أخي أرى بين الجثث؟ يا عذاب الروح؟ أكان عدلا أن تدفع ضيا عينيك لهذا الموت المجنون.

(فجأة تتعالى أصوات التشيع لجنائز جديدة، يصمت حفار القبور ينسحب إلى مكان لا تراه منه المساحرات، تدخل المساحرات وهن يحملن الفزاعات ويهمهن بأصوات مبهمة، تتخللها نظرات غريبة نحو حفار القبور، يضعن الجنائز ويغادرن المسرح)

(حفار القبور يحزم تردهه ويقترّب من النعش، يزيح حاشية الغطاء من جهة الرأس ثم يتراجع مذعورا)

حفار القبور: أيا سماء، هي المتي حقا أراها؟ ماتت كمن ماتوا وأنا الذي أيضا أواربها، كما واربت من قبل مئات سواها؟ أماله قتلتك

حين باركت الحرب اللعينة. (يركع على ركبته وينوح بالهم.... بين حين وآخر يقاطع ذواحه نعيب الغربان) النور ينضح من عيونك، والعار ينهش في ظنوني، يا ليت أبواب قلبي فيك تلتهب، يا ليتها دون نبض، ياليتها حطب سود كما اسودت الأموات أسراري. (يخلع ملابسه العسكرية وهو ينتحب. يشعل فيها النار، تظهر الساحرات يتعاملن مع النار بطقس مفعج، حفار القبور يتجمد في مكانه)

النسر: قد استفاق حين اقترب. (يتصاعد طقس المسحر)

اليوم: كن مقلة لا تدرك المتلوين.

الغراب: كن شفة لا تعرف المحنين.

29

النسر: كن فكرة ينكرها اليقين.

اليوم: كن حطبا.. كن عطبا.. كن طين.

(الساحرات يركضن بين القبور وديكور كتلة السلاح، يلبسنه ملابس المهرج، حركاته المية، يسحبينه للعمق)

الغراب: عد إلى مهنتك الأثيرة.

اليوم: عد كما كنت مهرجا.

المنسر: مهرجا وشاهد زور.

أغنية الختام

انتهى